بقوله فيما أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي ثنا القاضي أبو الوليد ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو إسحاق
وأبو الهيثم قالوا ثنا الفربري قال ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن
سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء
نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله
إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيمة. هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر
والصحيح إن شاء الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور
معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن
التخيل عليه والتشبيه فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء
طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر
أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر والتخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه
عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا لخطيب أن يكون خطيبا بضرب من
الحيل والتمويه والتأويل الأول أخلص وأرضى وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض عليه الحق
ويغضي. ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وأن المعارضة كانت ممكنة في
مقدور البشر فصرفوا عنها أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس مقدورهم
ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لأن الله لم يقدرهم عليه ولا يقدرهم عليها وبين المذهبين
فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم
ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع

١٠٩

والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن
معارضته وأنهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي
الجويني وغيره قال وهذا عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب
العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا أن ذلك من اختصاص صاحب ذلك
بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم إلى أن يرد ذلك صحيح النظر وأما التحدي للخلائق
المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على
المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله القيام عن
الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان
ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة وبالله التوفيق. وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على
سائر آيات الأنبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور
عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم. وغيرهم من
القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز
عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم
على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار
بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها
أكثرها يعترف بالصانع وأنها كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده

وأتمام

Copyright King Saud University